القضايا الكبرى فى الاسلام :

مجرمو الحرب في فتح مكة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

حكم أسير الحرب فى الاسلام القتل أو الاسترقاق أو المن بفداء أو غير فداء ، وقد جاء فى كتاب المبسوط للسرخسى أن بعض الفقهاء ذهب إلى أنه لا يجوز قتل الأسير ، واستدل على ذلك بأن القتل لم يذكر فى قوله تعالى فى الآية (٤) من سورة محمد (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منّاً بعد وإما فداء) ولو صح هذا لقضى بأنه لا يجوز استرقاق الأسير ، لأنه لم يذكر فى تلك الآية أيضا ، وهذا هو حكم الأسير بالنظر إلى اشتراكه فى القتال ، فإذا كان عليه تبعات أخرى كان عليه عقابها الخاص بها ، ومثل هذا يسمى الآن مجرم حرب .

وقد كان من مجرمى الحرب فى فتح مكة خمسة عشر شخصا :

١ — عبد الله بن خطَل ، وكان ممن قدم المدينة قبل فتح مكة وأسلم ، وكان اسمه عبد العزى فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وبعثه لأخذ الصدقة ، وبعث معه رجلا من الأنصار يخدمه ، فنزل منزلا وأمر الأنصارى أن يذبح تيساً ويصنع طعاما وينام ، ثم استيقظ فلم يجده صنع له شيئا ، فعدا عليه وارتد مشركا ، وكان شاعرا فجعل يهجو النبى صلى الله عليه فى شعره .

٢ ، ٣ — قينتان لعبد الله بن خطل : وهما فرتنى وقُرَيْر وكانتا تغنيانه بما كان يهجو به النبى صلى الله عليه وسلم .

٤ — هبّار بن الأسود ، وكان قد عرض لزينب بنت صلى الله عليه وسلم حين هاجرت ، فنخس بها الجمل حتى سا على صخرة وأسقطت جنينها ، ولم تزل مريضة حتى ماتت .

٥ — الحُوَيرث بن نُقيد ، وكان العباس بن عبد المطا فاطمة وأم كلثوم بنتى النبى صلى الله عليه وسلم من مكة يريد المدينة ، فنخس بهما الجمل فرمى بهما الأرض ، ثم شارك فى نخس جمل أختهما زينب .

٦ — مقيس بن صُبابة ، وكان قد أسلم ثم أتى على أنه فقتله ، وكان الأنصارى قتل أخاه هشام بن صبابة خطأ فى ذى قرد ، ظنه من العدو ، فجاء مقيس فأخذ الدية ثم قتله ورجع إلى قريش

٧ — وحْشِيُّ بن حرب ، وكان قد قتل حمزة عم النبى الله عليه وسلم غيلة فى غزوة أحد ، وكان حمزة قد قاتل فى اليوم قتالا شديداً ، وكان يقاتل بسيفين ، وكان آخر قتيل

بذلك ترفه عن الشعب ، فذعر العلماء من هذا القرار ونوهوا بما سيفقده الرغيف القومى من المواد الغذائية الهامة مما قد يؤثر على صحة أفراد الشعب وطالبوا بإبقاء النسبة التى كانت مقررة فى زمن الحرب لثبوت فائدتها ثبوتا قاطعاً . ولا يفوتنى أن أقرر هنا أن رغيف الجيش الروسى كان من القمح الخالص بجميع أجزائه .

فلم لا نفيد من هذه التجربة القيمة ونعمل على إيجاد رغيف قومى تأكله الكثرة الغالبة من الشعب تتوفر فيه العناصر الغذائية حتى لو اضطررنا إلى خلطه بنسبة صغيرة من نوع آخر من الدقيق على أن يكون طيب الرائحة لذيذ الطعم ، ومثل هذا الأمر يحتاج إلى دراسة وافية تقوم بها هيئة مكونة من الطبيب والإجتماعى والكيميائى والضابط الحربى وصاحب المطحن والمخبز والمزارع وغيرهم على أن تؤدى هذه الدراسة إلى وضع تشريع يحدد هذا الرغيف ودرجة نظافته بحيث يفيد منه الشعب فى الظ العادية وفى الظروف الطارئة كأية حرب محتملة الوقوع حتى لا برغيف خطر كالرغيف الذى فرض علينا فى هذه الحرب الأ

ورجاؤنا أن نصل فى هذا إلى قرار سريع ، وأن لا نصيب الرغيف القومى ما للسياسة والتعليم واللباس وغي من تذبذب وتأرجح واختلاف فى وجهات النظر وعدم الاس وأن لا يبتلى بلجنة تنعقد وتنحل بضع مرات ثم لا تنا ذلك أبداً فيموت المشروع بين يديها .

دكتور محمد بر

قسم البساتين

سباع بن عبد العُزى ، فلما أكبّ عليه ليأخذ درعه قتله وحشى بن حرب ، وهو غلام جبير بن مطعم .

٨ — هند بنت عُتْبَةَ زوج أبي سفيان بن حرب ، وكانت قد مثّلت بقتلى أحد من المسلمين ، فكانت هي ونساء معها يُجدّعن الآذان والأنوف ، حتى اتخذت منها خدما وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقُرْطَتَها وحشي بن حرب ، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها .

٩ — عبد الله بن أبي سرح ، وكان قد أسلم وكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فزعم أنه كان يملي عليه — عزيز حكيم — فيكتب — غفور رحيم — ثم يقرأ عليه فيقول : نعم سواء ، فإن كان يوحى إليه فقد أوحى إليّ ، وإن كان الله ينزله فقد نزلت مثل ما أنزل الله .

١٠ — عِكْرِمة بن أبي جهل ، وكان من أشد الناس على النبي صلى الله عليه وسلم ، وبلغ في أذى المسلمين بمكة ما بلغ .

١١ — كعب بن زُهير ، وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم بشعره ، ويُعَيِّرُ أخاه بُجَيْراً لإسلامه .

١٢ — الحارث بن هشام ، وكان شديداً على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك كان شديد الأذى على المسلمين بمكة .

١٣ — زهير بن أبي أُميّة ، وكان شديداً في كفره كعكرمة بن أبي جهل ، والحارث بن هشام .

١٤ — صفوان بن أمية ، وكان من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومن أشدهم أذى للمسلمين بمكة .

١٥ — سارَّةُ مولاة لبني المطّلب ، وكانت مغنية بمكة ، فقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة تشكو الحاجة ، وتطلب الصلة ، فقال لها : ما كان في غنائك ما يغنيك . فقالت : إن قريشاً منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغناء . فوصلها وأوقر لها بعيراً طعاماً ، فرجعت إلى مكة ، وكان ابن خَطَلٍ يلقى إليها هجاء النبي صلى الله عليه وسلم فتغني به .

فلما كان يوم الفتح نادى النبي صلى الله عليه وسلم بأمان من يترك القتال من قريش ، واستثنى منهم هذا العدد فحكم بإهراق دمائهم ، وأمر المسلمين بقتلهم لهذه التبعات التي أخذت عليهم ، وكانوا بها من محاربي الحرب الذين يؤاخذون على إجرامهم بعد أسرهم.

فأما عبد الله بن خَطَل فإنه ركب في ذلك اليوم فرسه ، ولبس درعه وأخذ بيده قناة ، وصار يُقسمُ لا يدخلها محمد عنوة ، فلما رأى خيل المسلمين خاف وذهب إلى الكعبة وتعلق بأستارها ، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم عند طوافه وهو بهذه الحالة فقال : اقتلوه ، فإن الكعبة لا تعيذ عاصياً ، ولا تمنع من إقامة حد واجب . فقتله أبو برزة الأسلمي .

وأما فرتنى وقُرَيْبةُ قينتا ابن خطل فإن أولاهما وهي فرتنى أسلمت فلم تقتل ، ولم تسلم قريبة فقتلت .

وأما هبّارُ بن الأسود فإنه هرب واختفى ، ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فاعترف بذنبه وأسلم فعفا عنه .

وأما الحويرث بن نُقَيْد فإنه دخل بيته وأغلق عليه بابه ، فقصده علي بن أبي طالب فقيل له : هو في البادية . فتنحى على عن بابه ، فخرج يريد أن يهرب من بيت إلى آخر ، فتلقاه علي فضرب عنقه .

وأما مِقيس بن صُبابة فقتله نُمَيْلَة بن عبد الله الليثي وهو رجل من قومه .

وأما وحشيُّ بن حرب فإنه هرب إلى الطائف ، ولما خرج وفد الطائف ليسلموا ضاقت عليه المذاهب ، فخرج حتى قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم ، فعفا عنه ثم قال له : أقعد فحدثني كيف قتلت حمزة ؟ فحدثه بذلك إلى أن فرغ منه ، فقال له : ويحك غيّب وجهك عني . فكان يتنكبه حيث كان لئلا يراه حتى قبضه الله .

وأما هند بنت عُتبة فإنها اختفت في بيت زوجها أبي سفيان ، ثم أسلمت وأتت النبي صلى الله عليه وسلم بالأبطح فقالت : الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره ، لتهنك رحمتك يا محمد ، إني امرأة مؤمنة بالله مصدقة به . ثم كشفت نقابها فقالت : أنا هند بنت عتبة . فقال لها : مرحباً بك ، وعفا عنها .

وأما عبد الله بن أبي سرح فإنه لجأ إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه من الرضاع ، فقال : يا أخي استأمن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يضرب عنقي . فغيبه عثمان حتى هدأ الناس واطمأنوا ، ثم أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فصار يقول : يا رسول الله أمنته فبايعه . والنبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ثم قال : نعم . فبسط يده فبايعه .

وأما كعب بن زهير فخاف وخرج حتى قدم المدينة بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من فتح مكة ، فأسلم أمامه ومدحه بقصيدته :

« بانت سعاد فقلبي اليوم متبول »

فلما وصل إلى قوله فيها :

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

رمى إليه بردة كانت عليه ، فلما ملك معاوية بذل له فيها عشرة آلاف درهم ، فقال له : ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أعطانيه أحدا .

وأما عكرمة بن أبي جهل فإنه هرب ليلقى نفسه فى بئر ، أو يموت تائها فى البلاد ، وكانت امرأته أم حكيم أسلمت فاستأمنت له النبى صلى الله عليه وسلم فأمنه ، فخرجت فى طلبه حتى أدركته فرجع معها فأتت به النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم .

وأما الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية فإنهما هربا واختبآ فى بيت أم هانىء بنت أبي طالب فأجارتهما ، وقد أجاز النبى صلى الله عليه وسلم جوارها ، ثم جاءته بهما فأسلما .

وأما صفوان بن أمية فاختفى وأراد أن يلقى نفسه فى البحر ، فأتى ابن عمه عمير بن وهب إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له : يا نبي الله ، إن صفوان سيد قومه ، وقد هرب ليقذف نفسه فى البحر ، فأمنه فإنك أمنت الأحمر والأسود . فقال له : أدرك ابن عمك فهو آمن . فخرج فأدركه وأتى به النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن هذا يزعم أنك أمنتنى . قال : صدق . فقال : أمهلنى على الشرك شهرين . فقال : لك أربعة أشهر . ثم خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة حنين ، فلما قسم الغنائم أعطاه مائة من الإبل ثم مائة ثم مائة ، ثم رآه يرمق شعبا مملوءاً نعما وشاء فقال له : يعجبك هذا . قال : نعم . قال : هولك وما فيه . فقبض صفوان ما فى الشعب وقال : إن الملوك لا تطيب نفسها بمثل هذا ، ما طابت نفس أحد قط بمثل هذا إلا نبي ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فأسلم وترك المدة التى كان طلبها .

وأما سارة مولاة بنى المطلب فإنها هربت واختفت ، ثم استؤمن لها النبى صلى الله عليه وسلم فأمنها ، فجاءته فأسلمت .

فقتل من هذا العدد الذى كان بجرم حرب قاتلان : هما عبد الله بن خطل ومقيس بن صبابة ، وقد قتل عبد الله بن خطل بعد استعاذته بالكعبة ، فلم تنجه استعاذته بها من القتل ، لأنه كان شديد الجرم بقتله ذلك الأنصارى الذى كان يخدمه ، والكعبة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تعيذ عاصيا ، ولا تمنع من إقامة حد واجب . وقد قتل منهم بعد ذلك اثنان لم يتول النبى صلى عليه وسلم قتلهما ، ولو أنهما أسلما وطلبا الأمان منه لأمنهم أمن الذين كان جرمهم مثل جرمهما ، وهما الحويرث بن نقيذ قتله على بن أبي طالب ، وقريبة مولاة عبد الله بن خطل

والمهم فى هذه القضية ما حصل من عفو النبى صلى الله عليه وس أكثر ذلك العدد ، فهل حصل هذا بما له من حق العفو ، فرأى ما ارتكبوه من جرم لم يصل إلى القتل حصل فى حال لهم شيء من العذر ، فيكون أخذهم بالعفو أولى من أخذهم بالعقو أو حصل هذا لأنهم أسلموا والاسلام يجب ما قبله ، كما قال فى الآية (٣٨) من سورة الأنفال : (قل للذين كفروا إن ي يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين)

وقد اختلف العلماء فى معنى هذه الآية ، فذهب بعضهم أن المراد أنهم إن ينتهوا عن عداوة النبى صلى الله عليه وسلم لهم ما قد سلف منها ، وذهب بعضهم إلى أن الكفار إذا ا عن الكفر وأسلموا يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعا ويخرجون منها كما تنسل الشعرة من العجين ، ومنه قوله صلى عليه وسلم : الاسلام يجب ما قبله . وقالوا : الحربى إذا أسلم لم عليه تبعة قط ، وأما الذى فلا يلزمه قضاء حقوق الله ، وتبقى حقوق الآدميين .

وما حصل فى هذه القضية يشهد للذين ذهبوا إلى أن الا لا يسقط شيئا من تبعات الدنيا ، ولو كان الذى أسلم حر ولهذا قتل النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن خطل مع است بالكعبة ، ولو كان الاسلام ينجيه من القتل لعوض عليه الا قبل أن يقتله ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر سرايا يعرضوا الاسلام على أعدائهم قبل أن يقاتلوهم ، ومثل هذا الإسلام خالصاً لله تعالى ، ولا يجعله وسيلة للتخلص من تبعات ا

فلم يبق إلا أن النبى صلى الله عليه وسلم عفا عنهم بما له حق العفو ، ليضرب بذلك مثلا صالحا فى معاملة مجرمى الحر فيعلم الناس أنه لا يجب التشديد فى أمرهم ، وأنه لا يصح أن يؤاخذوا إلا بمثل ما أوخذ به عبد الله بن خطل ، وقد قال ا فى أمثالهم : القدرة تذهب الحفيظة .

عبد المتعال الصعيدى